موقف عبد الله بن مسعود ﷺ من الجمع العثماني للقرآن الكريم
دراسة نقدية

دكتورة/ إيمان بنت حمد بن صالح الجاسر
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات القرآنية
جامعة الملك سعود

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث دراسة قضية موقف الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه– من الجمع العثماني للقرآن الكريم فقد سلطت الضوء على أبرز اعتراضات عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه– على تكليف عثمان بن عفان –رضي الله عنه– لزيد بن ثابت –رضي الله عنه–بجمع القرآن الكريم لما وقع تنازع في التلاوة في أمصار مختلفة، وفندت كل اعتراض بالأدلة النقلية والتاريخية، وفصلت في المميزات التي تفرد بها زيد غيره، ثم استعرضت الروايات المنقولة عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه– في موقفه من المعوذتين، و أقسام العلماء في شرح معاني الروايات حيث انقسموا إلى طائفة قبلت الروايات، وذكروا علل مختلفة عن محو عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه– للمعوذتين، وقمت بالرد على كل علة، وطائفة أنكرت الروايات وحكمت عليها بالوضع والضعف،وفندت أقوالهم مع إيراد أقوال الأئمة الناقدين عليها، وختمت كل قضية ببيان الموقف الصحيح لعبدالله بن مسعود –رضي الله عنه– من الجمع العثماني للقرآن الكريم، ومن المعوذتين أنه تراجع عن رأيه في كلا القضيتين، ونبذ الفرقة، وانضم لجماعة للمسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل كتابه تبصرة للمتقين، وهدى للعالمين، ومحجة للسالكين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد: فقد تبوأ القرآن الكريم منزلة سامقة، وعناية فائقة لا مثيل لها من بين الكتب السماوية السابقة حيث حظي بحفظ الله تعالى من تبديل آياته، وتحريف ألفاظه قال الله ﷻ في بيان ذلك: {إِنَّ الَّذِين كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت:٤٢]، قال الطَّبري: " وإنَّ هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلاً أو تحريفاً، أو تغييراً، من إنسي وجني وشيطان مارد" (١).

وقد تحقق موعود الله تعالى لكتابه الكريم فنال رعاية نبوية من قبل النبي ﷺ بالحرص على تعلمه وحفظه بتلقيه من جبريل –عليه السلام–، ولم يجمع في مصحف جامع لسوره وآياته لتتابع نزول الوحي عليه حتى توفي ﷺ.

واستمرت رعاية الصحابة – رضوان الله عليهم– للقرآن الكريم فقد بادر أبو بكر الصديق ﷺ إلى جمع آياته المتفرقة في مصحف واحد؛ لما استحرَّ القتل بالقراء في موقعة اليَمَامة.

وحينما استجدَّت أحداث وخلافات في عهد عثمان بن عفَّان ﷺ حول تلاوته دفعه ذلك لحسم الخلاف وإغلاق باب النِّزاع، فبعدما تشاور مع الصحابة عزم على جمع المصاحف، ونسخ عدَّة مصاحف منها، وأمر بإرسالها لأمصار الدولة الإسلامية.

وعدَّ هذا العمل من أعظم مناقب عثمان بن عفان ﷺ فكان مساهمةً عظيمة في ضبط القراءة الصحيحة للقرآن الكريم، فأجمع الصحابة واتفقت الأمة على ما قام به عثمان بن عفان ﷺ من الجمع للقرآن الكريم، قال الطَّبري: "وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعاب جميعها الكتابُ، والآثار الدَّالة على أن إمامَ المسلمين وأميرَ المؤمنين عثمانَ بن عفَّان رحمة الله عليه، جمع المسلمين– نظرًا منه لهم، وإشفاقًا منه عليهم، ورأفة منه بهم، حِذارَ الردّةِ من بعضهم بعدَ الإسلامَ، والدّخولِ في الكفر بعد الإيمان، إذ ظهر من بعضهم بمحضَره وفي عصره التكذيبُ ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، مع سماع أصحاب رسول الله ﷺ من رسول الله ﷺ النهيَ عن التكذيب

(١) جامع البيان (٢٠:٤٤٣).

بشيء منها، وإخباره إياهم أنّ المِراء فيها كفر– فحملهم رحمة الله عليه، إذْ رأى ذلك ظاهرًا بينهم في عصره، ولحَدَاثة عهدهم بنزول القرآن، وفراق رسول الله ﷺ إياهم بما أمِنَ عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن – على حرف واحد وجمعهم على مصحف واحد، وحرف واحد، وخَرَّق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه، وعزم على كل من كان عنده مُصحفٌ مخالفٌ المصحفَ الذي جمعهم عليه، أن يخرقه فاستوسقتْ له الأمة على ذلك بالطاعة "[1].

وقال ابن كثير: " ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على قراءة واحدة، كتب المصاحف على العرضة الأخيرة التِي درسها جبريل–عليه السلام–على رسول الله ﷺ في آخر سن حياته"[2].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: " خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر ولا لعمر: صبره نفسه حتى قتل، وجمعه الناس على المصحف" [3].

وقد تناقلت الروايات اعتراض عبد الله ابن مسعود ﷺ على الجمع العثماني بأقوال نسبت إليه، وأفعال صدرت منه خالف بذلك الإجماع الذي اتفق عليه الصحابة ﷺ.

ومن خلال هذا البحث سأتطرق لتجلية موقف عبد الله ابن مسعود ﷺ وعرض أقواله وبيان المراد منها بالأدلة النقلية، وأقوال الأئمة في بيان مراده منها.

❖ **مشكلة البحث:**

وردت آثار وروايات متعددة عن عبد الله ابن مسعود ﷺ تشير إلى اعترضه على الجمع العثماني للقرآن الكريم، وأثيرت على إثرها شبهات ودعاوى للانتقاص من القرآن وتدوينه، مما يجعل الحاجة ماسة لدراسة مبررات اعتراضاته على الجمع، وتفنيدها، وبيان موقفه الحقيقي تجاه هذه القضية.

❖ **أهداف البحث:**

١– عرض أسباب اعتراض عبد الله ابن مسعود على الجمع العثماني للقرآن الكريم.

٢– تفنيد اعتراضات عبد الله ابن مسعود على الجمع العثماني للقرآن الكريم.

---

(١) جامع البيان (٤٤٣/٢٠).

(٢) البداية والنهاية (٣٩٣/١٠).

(٣) تاريخ دمسق، لابن عساكر (٢٥٠/٣٩).

٣- بيان الموقف الحقيقي لعبد الله ابن مسعود على الجمع العثماني للقرآن الكريم وأثره على الجمع.

٤- دراسة الروايات حول موقف ابن مسعود من المعوذتين، وعرض أقوال الأئمة ببيانها.

٥- عرض القول الراجح في موقف عبد الله بن مسعود من المعوذتين.

❖ **أسئلة البحث:**

١- ما هي أسباب اعتراض عبد الله ابن مسعود على الجمع العثماني للقرآن الكريم؟

٢- كيف نرد على اعتراضات عبد الله ابن مسعود على الجمع العثماني للقرآن الكريم؟

٣- ما الموقف الحقيقي لعبد الله ابن مسعود تجاه الجمع العثماني للقرآن الكريم؟

٤- هل يصح كل ما نقل من روايات في موقف عبد الله ابن مسعود من المعوذتين؟

٥- ما هو القول الراجح في موقف عبد الله بن مسعود من المعوذتين؟

❖ **منهج البحث:**

سوف أتبع المنهج الاستقرائي الاستنتاجي من خلال استقراء الروايات عن عبد الله بن مسعود في موقفه من الجمع العثماني وسورة الفلق والناس، واستنتاج مبررات اعتراضه والرد عليها، ثم بيان موقفه الحقيقي في هذه القضية.

❖ **خطَّة البحث:**

ستتكون الخطة من مقدمة، وتمهيد، ومبحثان، كل مبحث فيه عدة مطالب، وخاتمة على النحو التالي:

▪ **التمهيد:**

الدوافع التِي حملت عثمان بن عفان بتكليف زيد بن ثَبت بجمع القرآن الكريم.

▪ **المبحث الأول: موقف ابن مسعود من جمع العثماني للقرآن الكريم مع تفنيد اعتراضاته، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: أسباب اعتراض ابن مسعود على الجمع العثماني للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: تفنيد اعتراضات ابن مسعود على الجمع العثماني للقرآن الكريم.

المطلب الثالث: تراجع ابن مسعود عن موقفه من الجمع العثماني للقرآن الكريم.

- **المبحث الثاني: موقف ابن مسعود من المعوذتين، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: عرض الروايات الواردة في موقف ابن مسعود من المعوذتين.

المطلب الثاني: أقوال الأئمة في الروايات الواردة في موقف ابن مسعود من المعوذتين.

المطلب الثالث: القول الراجح في موقف عبد الله بن مسعود من المعوذتين.

المطلب الرابع: الرد على الشبهات المثارة حول موقف ابن مسعود من المعوذتين.

وأخيراً: فهذا جُهد المقلِّ، فما كان فيه من صوابٍ فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشَّيطان، وأستغفر الله من علمٍ ليس لصاحبه منه إلَّا رَسْمَه. والحمد لله أولاً وآخراً، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

التمهيد:

الدوافع التي حملت عثمان بن عفان بتكليف زيد بن ثابت بجمع القرآن الكريم

بعث عمر بن الخطاب ﷺ بعض أئمة القراء من المدينة إلى أنحاء الدولة الإسلامية لتعليم تلاوة القرآن على الأحرف السبعة التي نزل بها، واختار لهذه المهمة القراء الضابطين للقرآن فكان زيد بن ثابت وأبي بن كعب في المدينة، وعبد الله بن مسعود في الكوفة، وأبو موسى الأشعري في البصرة، وأبي الدرداء في دمشق، ومعاذ بن جبل في فلسطين، وعبادة بن الصامت في حمص(١)، وقد أثمرت هذه المبادرة ثمار مباركة حيث أسهمت بانتشار القراءات القرآنية في أنحاء الأمصار الإسلامية.

وعلى الرغم من الجهود العظيمة في تعليم القرآن إلا أنه وقع اختلاف بين الناس في القراءة لأن كل صحابي يقرأ القرآن ويعلمه على الطريقة التي تلقاها من النبي ﷺ فأصبح بعضهم إذا سمع تلاوة الآخر أخذ بتخطئته، واشتد النزاع بينهم حتى بلغ درجة تكفير بعضهم البعض(٢)، فعن أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: " لَمَّا كَانَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ جَعَلَ الْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، وَالْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، فَجَعَلَ الْغِلْمَانُ يَلْتَقُونَ فَيَخْتَلِفُونَ حَتَّى ارْتَفَعَ ذَلِكَ إِلَى الْمُعَلِّمِينَ، حَتَّى كَفَرَ بَعْضُهُمْ بِقِرَاءَةِ بَعْضٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ، فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: «أَنْتُمْ عِنْدِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَتَلْحَنُونَ، فَمَنْ نَأَى عَنِّي مِنَ الْأَمْصَارِ أَشَدُّ فِيهِ اخْتِلَافًا، وَأَشَدُّ لَحْنًا، اجْتَمِعُوا يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ وَاكْتُبُوا لِلنَّاسِ إِمَامًا»(٣).

وعن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: " كَانَ الرَّجُلُ يَقْرَأُ حَتَّى يَقُولَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: كَفَرْتُ بِمَا تَقُولُ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَتَعَاظَمَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، فَجَمَعَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَرْسَلَ إِلَى الرَّبْعَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي بَيْتِ عُمَرَ فِيهَا الْقُرْآنُ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُهُمْ قَالَ مُحَمَّدٌ: فَحَدَّثَنِي كَثِيرُ بْنُ أَفْلَحَ، أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ لَهُمْ فَرُبَّمَا اخْتَلَفُوا فِي الشَّيْءِ فَأَخَّرُوهُ، فَسَأَلْتُ: لِمَ تُؤَخِّرُونَهُ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي قَالَ مُحَمَّدٌ فَظَنَنْتُ فِيهِ ظَنًّا، فَلَا تَجْعَلُوهُ أَنْتُمْ يَقِينًا، ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٦/ ٧)، (٢ / ٣٥٥)، (٢/ ٣٥٨).

(٢) انظر: المصاحف، لابن أبي دواد (١٣، ١٤، ٢١).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٥٦/١)، و لابن أبي دواد في المصاحف (٩٥).

اخْتَلَفُوا فِي الشَّيْءِ أَخَّرُوهُ حَتَّى يَنْظُرُوا آخِرَهُمْ عَهْدًا بِالْعَرْضَةِ الْآخِرَةِ فَيَكْتُبُوهُ عَلَى قَوْلِهِ"(١).

و لم يقف نزاع الناس بالتلاوة عند هذا الحد بل تفشى في بعض الغزوات التاريخية ويروي لنا تفاصيل هذه بعض الحوادث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حيث قال:" أن حذيفة بن اليمان، قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشأم في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: «أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك»، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف "، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم» ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف، أن يحرق"(٢).

يظهر مما مضى أن سبب الشقاق اختلاف قراءات بعضهم عن الآخر، فأهل الشام كانوا يتلون بقراءة أبي الدرداء، وأهل العراق يتلون بتلاوة ابن مسعود فلما سمعوا أوجه الاختلاف في القراءة كانت النتيجة أن تمسكت كل طائفة بقراءتها وتعصبت لها، وحكمت بالخطأ على تلاوة الأخرى، فتنازعوا واختلفوا، و لئلا يؤدي ذلك إلى افتراق الأمة حسم عثمان الظاهرة فاجتمع بالصحابة واستشارهم وانتهى بهم الأمر بالاتفاق على جمع القرآن برسم الأحرف السبعة التي نزل بها، وكان يرى أهمية تكوين لجنة علمية يوكل لها القيام بهذه المهمة الجسيمة وضرورة تعيين رئيس تنفيذي لها لينجز متابعة العمل بشكل دقيق، فوقع اختياره على زيد بن ثابت رضي الله عنه.

قال أبو شامة: " إن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقرؤون بالقراءة التي أقرأهم رسول الله ﷺ، ولقنهم بإذن الله، إلى أن وقع الاختلاف بين القراء في زمن عثمان وعظم الأمر فيه، وكتب الناس بذلك من الأمصار إلى عثمان، وناشدوه الله تعالى في جمع الكلمة

(١) رواه لابن أبي دواد في المصاحف (١٠٤)، والمرشد الوجيز، لأبي شامة (٦٠/١)، وفضائل القرآن، لابن كثير (٨٤/١).
(٢) رواه البخاري في الصحيح (١٨٣/٦).

وتدارك الناس قبل تفاقم الأمر، وقدم حذيفة بن اليمان من غزوة إرمينية فشافهه بـذلك، فجمع عثمان عند ذلك المهاجرين والأنصار، وشاورهم في جمع القرآن علـى حـرف واحد ليزول بذلك الخلاف وتتفق الكلمة، فاستصوبوا رأيه، وحضُّوه عليـه، ورأوا أنـه من أحوط الأمور للقرآن، فاستحضر الصحف من عند حفصة، ونسخها في المصاحف، وبعث بها إلى الأمصار" (١).

فما هي الدوافع التي جعلت عثمان يختار زيد بن ثابت من بين جميع الـصحابة لكتابـة المصحف الشريف؟

وهل انفرد زيد بن ثابت بمقومات تجلت في شخصيته فساقت إليه الاختيار الثالث علـى التوالي لشرف القيام بهذه المهمة الكبيرة جمع القرآن الكريم؟

وما أصناف هذه المقومات؟

هل هي علمية أم خَلقِيَّة أم خُلُقية؟

والمراحل التي مرت فيها المقومات؟ ومتى تكونت هذه المقومات؟

هذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل – بإذن الله– من خلال المباحث القادمة.

(١) المرشد الوجيز (٦٨/١).

المبحث الأول: موقف ابن مسعود من الجمع العثماني للقرآن الكريم مع تفنيد اعتراضاته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسباب اعتراض ابن مسعود على الجمع العثماني للقرآن الكريم

عزم عثمان بن عفان على جمع القرآن الكريم بعد مشورة الصحابة، وأسند وظيفة الجمع لزيد بن ثابت فكان الرئيس التنفيذي للجنة، وقد أثار هذا الاختيار غضب عبدالله بن مسعود فصدر منه اعتراضات على الجمع والسبب الحامل على ذلك؛ لأنه لم يستدعيه مع أعضاء لجنة نسخ المصاحف، ويدل على ذلك ما رواه الزُّهْرِيُّ قال: "فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَرِهَ لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ نَسْخَ الْمَصَاحِفِ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُعْزَلُ عَنْ نَسْخِ كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ وَيَتَوَلاَّهَا رَجُلٌ وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْلَمْتُ، وَإِنَّهُ لَفِي صُلْبِ رَجُلٍ كَافِرٍ، يُرِيدُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ "(١).

فالشاهد على ردة فعل عبد الله بن مسعود قوله: " كره لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ نَسْخَ الْمَصَاحِفِ " قال ابن كثير: "وإنما روي أن ابن مسعود ﷺ شيء من التَّغضب؛ بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف "(٢).

يفهم مما مضى أن سبب الرئيسي لهذا الاعتراض؛ عزل ابن مسعود وعدم دعوته للمشاركة في العمل فهو يرى أنه أولى بالقيام بهذه المهمَّة الجليلة من زيد بن ثابت.

وإضافةً لما تقدم فقد وردت روايات متعددة تكشف أسباباً أخرى لاعتراض عبد الله بن مسعود ﷺ على الجمع العثماني للقرآن الكريم، وبيانها كما يلي:

١-أسبقيته في تلقي سبعون سورة من القرآن عن الرسول ﷺ:

مما لا شك فيه أن عبد الله ابن مسعود من أئمة القراء الذين اشتهر عنهم أخذ القرآن مشافهةً من النبي ﷺ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: «أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبْعِينَ سُورَةً أَحْكَمَتُهَا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ»(٣).

وعَنْ خُمَيْرِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا أُمِرَ بِالْمَصَاحِفِ تُغَيَّرُ سَاءَ ذَلِكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَغُلَّ مُصْحَفًا فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّهُ مَنْ غَلَّ شَيْئًا جَاءَ بِمَا غَلَّ يَوْمَ

(١) رواه الترمذي في السنن: (١٣٦/٥) وقال: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ حَدِيثُ الزُّهْرِيِّ وَلاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِهِ"، وحكم عليه الألباني في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (١٠٥/٧) فقال: " صحيح ".

(٢) فضائل القرآن (٢٠).

(٣) رواه ابن أبي دواد في "المصاحف" (١٨٥)، والحاكم في "المستدرك" (٢ / ٢٧٤).

الْقِيَامَةِ» ثُمَّ قَالَ عَبْدُ اللهِ: «لَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعِينَ سُورَةً وَزَيْدٌ صَبِيٌّ، أَتْرُكُ مَا أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ؟"(١).

وعَنْ هُبَيْرَةَ بْنِ يَرِيمَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُود: «عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ تَأْمُرونَنِي أَقْرَأُ لَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَإِنَّ زَيْدًا لِصَاحِبِ ذُؤَابَتَيْنِ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ»(٢).

فيرى عبد الله بن مسعود أن مبادرته في التلقي المباشر لسبعون سوره عن النبي ﷺ حتى بلغ درجة الإتقان قبل زيد بن ثابت من الأسباب الوجيه لاعتراضه على عملية نسخ المصاحف.

فهو يتصور أن التلقي المبكر للقرآن يجعل لصاحبه فضل السبق في القيام بمهمة جمع القرآن.

٢-علو مرتبته العلمية بالقرآن الكريم وسعة علمه بمواضع نزول آياتها:

فقد صرح عبدالله بن مسعود ﷺ في عدة روايات أن لدية علم كبير بالقرآن وخلفية واسعة في العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، وأنه أكثر الصحابة علماً بمواطن نزولها، عن شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: "خَطَبَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُود فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ»، قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي الحِلَقِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ فَمَا سَمِعْتُ رَادًّا يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ "(٣).

فيظهر مما سبق أن عبد الله بن مسعود يعتقد أنه أعلم بكتاب الله تعالى من زيد بن ثابت وحصيلته العلمية في العلوم المرتبطة بالقرآن يتفوّق بها على الكثير من الصحابة ﷺ.

٣-أسبقيته في الدخول للإسلام:

فعبد الله بن مسعود يعد من السابقين القدماء للإسلام فقد تقدم إسلامه بمكة بعد دخول النبي ﷺ لدار الأرقم، ومن المهاجرين الأوائل إلى المدينة النبوية (٤)، قال عبد الله: " لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَادِسَ سِتَّةٍ، مَا عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ مُسْلِمٌ غَيْرَنَا "(٥).

---

(١) رواه أحمد في "المسند" (٢٣/٧)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٧٤/٩)، و ابن أبي دواد في "المصاحف" (١٧٨)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق"(١٠٢/٣٣).

(٢) رواه النسائي في "السنن الكبرى" (٣٢١/٨)، وابن حبان في "صحيحه" (٥٣٩/١٥).

(٣) رواه البخاري في "الصحيح" (١٨٦/٦)، ومسلم في "الصحيح" (٢٢٩/١٢).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٨٠/٣)، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (٤٨١/١).

(٥) أسد الغابة، للجزري (٣٨١/٣).

واحتج عبد الله ابن مسعود بهذا السبب فاعترض من خلالها على جمع عثمان للقرآن الكريم

فروي عن عُبَيْدُ اللَّه بْنُ عَبْد اللَّه بْنِ عُتْبَةَ:" أَنَّ عَبْدَ اللَّه بْنَ مَسْعُود كَرِهَ أَنْ يُوَلَّى زَيْدُ بْنُ ثَابِت نَسْخَ الْمَصَاحف فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلمينَ، أَأُعْزَلُ عَنْ نَسْخ كتَاب اللَّه، وَيَتَوَلَّاهُ رَجُلٌ، وَاللَّه لَقَدْ أَسْلَمْتُ، وَإِنَّهُ لَفي صُلْب رَجُل كَافر؟» يَعْني زَيْدًا "(١).

فيتضح مما تقدم أن في فترة دخول ابن مسعود للإسلام كان زيد في صلب أبيه ولم يولد بعد وزيد بن ثابت قد تأخر اعتناقه للدين الإسلامي فلم يسلم إلا بعد هجرة الرسول ﷺ للمدينة النبوية حيث بلغ من العمر إحدى عشر سنة(٢).

٤- شهوده العرضة الأخيرة للقرآن:

ثبت عن ابْنُ عَبَّاس أنه قال: "أَيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَعُدُّونَ قِرَاءَةَ الأُولَى؟ قَالُوا: قِرَاءَةُ عَبْد الله، قَالَ: قِرَاءَتُنَا الْقِرَاءَةُ الأُولَى وَقِرَاءَةُ عَبْد الله الْقِرَاءَةُ الأَخِيرَةُ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ كُلَّ رَمَضَانَ عَرْضَةً، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عُرِضَ عَلَيْهِ عَرْضَتَانِ فَشَهِدَ عَبْدُ اللهِ وَشَهِدَ مَا نُسِخَ مِنْهُ وَمَا بُدِّلَ "، وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: "أي القراءتين ترون كان آخر القراءة؟ قالوا: قراءة زيد قال: لا إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن كل سنة على جبريل –عليه السلام–، فلما كانت السنة التي قبض فيها عرضه عليه عرضتين، فكانت قراءة ابن مسعود آخرهن " (٣).

المطلب الثاني: تفنيد اعتراضات ابن مسعود على الجمع العثماني للقرآن الكريم

مما يجدر التنبيه عليه قبل تفنيد اعتراضات عبد الله بن ابن مسعود ﷺ أنه لم يكن سبب الاعتراض لوقوع خلل أو زيادة أو نقص في عملية نسخ المصاحف؛ وإنما نَشَأت المعارضة لأنه يرى أنه الأحق في تقديمه وتكليفه ومشاركته بهذا العمل الجليل من زيد بن ثابت ﷺ.

وقد وجد عبد الله ابن مسعود في نفسه مشقة من جراء تكليف زيد بن ثابت بهذه المهمة؛ لأن عثمان عدل عنه مع فضله وسنه، وفوض ذلك إلى من هو بمنزلة ابنه،

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده(٣٢٢/١)، والمعجم الكبير، للطبراني(٧٤/٩)، وأبي عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن(٢٨٢/١).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٨٠/٣).

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٩٦/٤)، والحاكم في المستدرك (٢٥٠/٢)، أبو يعلى في مسنده (٨٧/٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٨/٩): " ورجال أحمد رجال الصحيح ".

وولي العمل زيد بن ثابت لحضوره وغيبة عبد الله، ولأنه كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكتب المصحف في عهد أبي بكر الصديق [١].

وأما بالنسبة لتفنيد الاعتراضات فهي على النحو التالي:

١- مما لا شك فيه أن عبد الله بن مسعود تبوأ مكانة سامقة في القرآن الكريم فقد حفظ سبعين سورة من فيِّ النبي ﷺ، ولديه علم مستفيض في التفسير وعلوم القرآن، ويعد من أئمة القراء التي جاءت الوصية النبوية بتلقي القرآن الكريم عنهم، فقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال: "من سره أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد"[٢].

وقال ﷺ: "خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأُبَيّ بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة" [٣].

بيد أن حفظ ابن مسعود مقتصر على سبعين سورة فحسب، وأكمل حفظ الباقي من كتاب الله بعدما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى[٤]، قال ابن عساكر: " والمحفوظ أن عبد الله إنما حفظ في عهد النبي ﷺ بضعة وسبعين سورة وحفظ الباقي بعده " [٥].

وقال ابن الملقن: " وعبد الله بن مسعود ﷺ لم يحفظ جميعه في حياته ﷺ، وذلك أنه قال: أخذت من فيِّ رسول ﷺ بضعاً وسبعين سورة "[٦].

بل حكى غير واحد الإجماع أن عبد الله بن مسعود لم يحفظ القرآن كاملاً في عهد النبي ﷺ قال يزيد بن هارون: "لا خلاف بين المسلمين أن عبد الله بن مسعود مات وهو لا يحفظ القرآن كله "[٧].

---

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر (١٠٢/٣٣).

(٢) رواه أحمد في المسند (٧/١)، النسائي في السنن (٩٤/١)، وابن حبان في صحيحه (٥٤٢/١٥) والبزار في مسنده (٣٩٦/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٨/٩): " رواه أحمد والبزار والطبراني، وفيه عاصم بن أبي النجود وهو على ضعفه حسن الحديث، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير فرات بن محبوب وهو: ثقة".

(٣) البخاري في الصحيح (١٨٦/٦)، ومسلم في الصحيح (١٩١٣/٤)، رواه أحمد في المسند (١٩١/٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣٨/٦).

(٤) انظر لقول ابن الأنباري في "الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي (٥٣/١).

(٥) تاريخ دمشق (١٠٢/٣٣).

(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٥/٢٤).

(٧) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨٨/١).

وقال مكِّي بن أبي طالب: " ولم يُختلف في أنَّ عبد الله بن مسعود لم يكن على عهد النبي ﷺ جمع القرآن كله، بل قال إني جمعت منه على عهد النبي ﷺ بضعاً وسبعين سورة، وتلقَّيت من فِيِّ رسول الله ﷺ سبعين سورة"(١).

وكما كان لابن مسعود هذه المناقب السابقة فإن زيداً بن ثابت قد حقَّق تفوقاً وتميزاً في هذا المجال فقد بدأ بحفظ القرآن منذ زمن مبكر (٢) فعَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا أَخْبَرَهُ: " أَنَّهُ لما قدم رَسُول الله الْمَدِينَةَ قَالَ زَيْدٌ: ذَهَبَ بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأُعْجِبَ بِي فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً فَأَعْجَبَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ وَقَالَ: "يَا زَيْدُ تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي"(٣).

وثابر زيد على حفظ كتاب الله حتى أتم جمع جميع القرآن تلقياً عن رسول الله ﷺ فكان من أئمة القراء الذين حفظوا المصحف كاملاً عن ظهر قلب في العهد النبوي (٤)، فعن عَنْ أَنَسٍ ﷺ قال: " جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنْ الْأَنْصَارِ: أُبَيٌّ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قُلْتُ لِأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي"(٥).

قال مغلطاي: " وكان أحد الأئمة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ" (٦).

فهذه الخصِّيصَة لزيد دفعت عثمان لتكليفه لجمع القرآن، قال أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ: " وَلَمْ يَكُنِ الِاخْتِيَارُ لِزَيْدٍ إِلَّا لِأَنَّ زَيْدًا كَانَ أَحْفَظَ لِلْقُرْآنِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ إِذْ وَعَاهُ كُلَّهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيٌّ، وَالَّذِي حَفِظَ مِنْهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نيف وسبعون سُورَةً، ثُمَّ تَعَلَّمَ الْبَاقِيَ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَالَّذِي خَتَمَ الْقُرْآنَ وَحَفِظَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيٌّ اولى بجمع المصاحف وأحق بالإيثار والاختيار" (٧).

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات (٥٥).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢٧١/٢)، والسيرة النبوية، لابن كثير (٦٤٠/٤).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٨٦/٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩٥/١٩)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١٧٣/١)، فتح الباري، للعسقلاني (١٢٧/٧).

(٥) رواه البخاري في "الصحيح" (١٢/ ١٧٦).

(٦) إكمال تهذيب الكمال (١٣٥/٥).

(٧) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥٣/١).

٢- أن زيد بن ثابت من الملازمين لكتابة الوحي ومن أشهر كتبته للنبي ﷺ [١]، فبعد نزول الوحي كان يستدعيه لتدوين آيات وسور القرآن الكريم، فعن البراء بن مالك قال: " لَمَّا نَزَلَتْ: {لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [النساء: ٩٥]، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ادْعُ لِي زَيْدًا ويجئ بِاللَّوْحِ وَالدَّوَاةِ وَالكَتِفِ – أَوِ الكَتِفِ وَالدَّوَاةِ –» ثُمَّ قَالَ: " اكْتُبْ: {لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ} [النساء: ٩٥] "[٢].

وعن زيد قال: "كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة، وعرق عرقا مثل الجمان ثم سري عنه "[٣].

وقد شهد كبار الصحابة بقيام زيد بهذه المهمَّة الجليلة فعن أبي بكر الصديق أنه قَالَ لزيد: " إِنَّكَ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاتَّبِعِ القُرْآنَ "[٤].

ونظراً لكثرة ممارسته الكتابة سمَّاه الصحابة بالكاتب، فعن مصعب بن سعد ﷺ قال: "قام عثمان فخطب الناس فقال: من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت، قال: فأي الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان ﷺ: فليملل سعيد، وليكتب زيد " [٥].

قال ابن حجر: " وَأَمَّا بِالْمَدِينَةِ فَأَكْثَرُ مَا كَانَ يَكْتُبُ زَيْدٌ وَلِكَثْرَةِ تَعَاطِيهِ ذَلِكَ؛ أُطْلِقَ عَلَيْهِ الْكَاتِبُ بِلَامِ الْعَهْدِ " [٦].

قال ابن عبد البر: " وكان زيد ألزم الصحابة لكتابة الوحي، وكان يكتب كثيرًا من الرسائل وكان أبي إذا لم يحضر دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد بن ثابت فيكتب، وكان أبي وزيد بن ثابت يكتبان الوحي بين يديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويكتبان كتبه إلى الناس "[٧].

---

(١) انظر: "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، لابن عبد البر (٥٧٣/٢)، و"أسد الغابة"، لابن الأثير (٢/ ١٢٦)، و"البداية والنهاية"، لابن كثير (٨ / ٣٣٦).

(٢) رواه البخاري في "الصحيح" (٦ /١٨٤).

(٣) رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٥٨/٥)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢ / ٤٣٢): " رواه الطبراني في "الأوسط"، ورجاله موثقون ".

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٣٨٥/١٥).

(٥) رواه ابن أبي دواد في المصاحف (٨١)، وابن كثير في فضائل القرآن (٨٤) وقال: " إسناده صحيح ".

(٦) فتح الباري (٢٢/٩).

(٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٦٨/١).

أما عبد الله بن مسعود فلم يسبق له كتابة الوحي، وإنما عرف عنه الاقراء فكان إماماً في الأداء[١]، وأما زيد فجمع بين الحفظ الكامل للمصحف وملازمة كتابة الوحي فكان إماماً في الرسم، فكان اختيار الأعلم بالكتابة والخط والضَّبط أولى من اختيار الأقدم في التلقي والحفظ[٢]، قال أبو بكر الباقلاَّني: " ويدل على صحة اختيار زيد أن أحدنا اليوم إذا أراد أن يكتب مصحفا يتخذه إماماً لا يلتمس له أقدم أهل عصره حفظا وأفهمهم وأشجعهم، وإنما يلتمس أحسنهم ضبطاً وخطاً، وأحضرهم فهماً، دون من كانت تلك صفاته"[٣].

٣- تميز زيد بسمات خُلقية وخَلقية وخبرة عمليَّة جعلته أجدر من تُوكَلُ إليه مهمَّة كتابة الوحي، وقد فصلها أبي بكر الصديق ﷺ فقال: " إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَتَبَّعْ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ"[٤].

فوصف زيد بأربع صفات:

- ✓ شاب يتوفر فيه الحماس والنشاط لما يطلب منه فلا يتقاعس ولا يمل من العمل.
- ✓ عاقل فهذه الصفة من أجل الصفات المحمودة فكانت سببًا لائتمانه ورفع التهمة عنه، وفيها إشارة للقوة، وَحِدَّةِ النَّظَرِ، وَقُوَّةِ الضَّبْطِ، وَالْحِفْظِ، وَالدِّيَانَةِ.
- ✓ أنه غير متهم بدينه فتركن النفس إليه، ولا يكون في عمله أدنى ريب ولا شك.
- ✓ أنه أحد كتبة الوحي للرسول ﷺ فلديه التجربة العملية والخبرة الميدانية أمام من نزل عليه القرآن ، ويكفي بها مزية [٥].

فزيد يمتلك خبرة عملية تاريخية ثرية بالكتابة ولا غرو فرسول ﷺ أسند له كتابة الوحي مراراً وتكراراً؛ لبلوغه درجة رفيعة من الأمانة والدِّيانة وجودة العمل، وبموجبه تأسى أبو بكر الصديق ﷺ بذلكم المنهج النَّبوي فطلب منه جمع القرآن الكريم في عهده[٦].

---

(١) انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (٤٨١/١)، ومعرفة الثقات، للعجلي (٢٧٨/١).

(٢) انظر: تهذيب الكمال، للمزي (٣٢/١٠)، وأسد الغابة، للعسقلاني (٢/ ١٢٦)، ومعرفة القراء الكبار، للذهبي (١٧/١)، والانتصار، الباقلاني (٣٦٨).

(٣) نكت الانتصار (١٨٢).

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٣٨٥/١٥).

(٥) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٦٤)، ومرقاة المصابيح، للقاري (١٥١٥/٤)، فتح الباري (١٣/٩)، جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابة، للعبيد (٤٤).

(٦) الإصابة، لابن حجر (٢٤٤/٢)، الوافي بالوفيات، للصفدي (١٥/١٥).

وعليه اقتفى عثمان بن عفان ﷺ المنهج النبوي وأبو بكر الصديق وعمر ﷺ في اختيارهم لزيد، فأمر بنسخ المصاحف للأمصار.

ولذلك قال عُثْمَانَ لما بلغه غضب ابن مسعود: "مَنْ يَعْذِرُنِي مِن ابْنِ مَسْعُوْدٍ؟ غَضِبَ إِذْ لَمْ أُوَلِّه نَسْخَ المَصَاحِف، هَلاَّ غَضِبَ على أَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِذْ عَزَلاَهُ عَنْ ذَلِكَ، وَوَلَّيَا زَيْداً، فَاتَّبَعْتُ فِعْلَهُمَا "[1].

فزيد بن ثابت هو الكاتب الرسمي المعتمد عليه في كتابة الوحي على مر السنين منذ العهد النبوي، وما تلاها من عصر أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما–.

قال الذهبي: " وانتدبه الصديق لجمع القرآن فتتبعه وتعب على جمعه، ثم عينه عثمان لكتابة المصحف؛ وثوقًا بحفظه ودينه وأمانته وحسن كتابته"[2].

٤– قرب موطن زيد بن ثابت ﷺ من دوافع تكليف عثمان له بنسخ المصاحف حيث كان حاضر ومستقر بالمدينة النبوية فعيَّنه، وطلب منه أن ينجز العمل بفترة قياسية سريعة.

أما عبد الله بن مسعود فغائب ومكانه بعيد فإقامته بالكوفة، ولم يؤجل عثمان العمل تحت هذه الظروف الصعبة، وإنما أراد القضاء على هذه الفتنة العظيمة بأقرب وقت ممكن، فلم ينتظر قدومه من الكوفة من بلاد العراق[3].

قال الذهبي: "وَإِنَّمَا عَدَلَ عَنْهُ عُثْمَانُ لِغَيْبَتِه عَنْهُ بِالكُوْفَة "[4].

وقال ابن حجر: "وَالْعُذْرُ لِعُثْمَانَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ فَعَلَهُ بِالْمَدِينَةِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بِالْكُوفَةِ وَلَمْ يُؤَخِّرْ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ وَيَحْضُرَ"[5].

٥– أما بالنسبة للعرضة الأخيرة للقرآن التي ثبت أن حضرها ابن مسعود فقد سَنَحَ لزيد بن ثابت حضورها، قال أبو عبد الرحمن السلمي: "قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد ابن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله ﷺ، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة "[6].

---

(١) معرفة القراء الكبار، الذهبي (١٧/١).

(٢) تذكرة الحفاظ (٢٧/١).

(٣) انظر: الثقات للعجلي (٢٧٨/١)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (١٠٢/٣٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٨٠/٣).

(٥) فتح الباري (١٣/٩).

(٦) المرشد الوجيز، لأبي شامة (٦٩/١).

قال البغوي: "إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل، وهي التي بين فيها ما نسخ وما بقي"(١).

قال ابن تيمية: "والعرضة الأخيرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره، وهي التي أمر الخلفاء الراشدون: أبو بكر، وعمر، وعثمان، و علي ﷺ بكتابتها في المصاحف، وكتبها أبو بكر، وعمر في خلافة أبي بكر في صحفٍ أمر زيد بن ثابت بكتابتها، ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحف وإرسالها إلى الأمصار وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة علي وغيره"(٢).

فجمع القرآن الكريم في عهد عثمان كان بما أثبت في العرضة الأخيرة يقول سمرة بن جندب:

" عرض القرآن على رسول ﷺ عرضات فيقولون: إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة "(٣).

وقال محمد بن سيرين: "يرون –أو يرجون – أن تكون قراءتنا هذه أحدث القراءتين عهداً بالعرضة الأخيرة"(٤).

وعلى الرغم من أنَّ ابن مسعود حضر العرضة الأخيرة فمصحفه تضمن أشياء منسوخة فقد تكون مما تلقاه عن الرسول ﷺ ثم وقع النسخ عليها وهو لا يدري بذلك، أو بعضها مما لم يتلقاه من في النبي ﷺ، أما زيد بن ثابت حضر العرضة الأخيرة التي لا تشتمل على آيات منسوخة واعتمد عليها الصحابة في جمع القرآن بعهد عثمان بن عفان، قال الذهبي: "وَفِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ أَشْيَاءُ أَظُنُّهَا نُسِخَتْ، وَأَمَّا زَيْدٌ فَكَانَ أَحْدَثَ القَوْمِ بِالعَرْضَةِ الأَخِيْرَةِ الَّتِي عَرَضَهَا النَّبِيُّ –ﷺ– عام توفي على جبريل "(٥).

٦– أن عبد الله بن مسعود –كما سبق– حاز فضل السَّبق في إقراء القرآن والتمكن من علومه، وقد أشاد العلماء بمرتبته العالية في ذلك، يقول حذيفة بن اليمان: "لقد علم

(١) شرح السنة (٤/ ٥٢٦).

(٢) الفتاوى الكبرى (٤/٤١٨).

(٣) رواه الحاكم في "المستدرك" (٢/٢٥٠)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري بعضه، وبعضه على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، والسيوطي في "الدر المنثور"(١/٢٥٩).

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٣٥٧).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/٢٨٠).

المحفظون من أصحاب رَسُول اللَّه ﷺ أنّ عبد الله ابن مَسْعُود كَانَ من أقربهم وسيلة وأعلمهم بكتاب الله "(١).

وقال ابن كثير: " كَانَتْ لَهُ الْيَدُ الطُّولَى فِي تَفْسِيرِ كلام الله، وَلَهُ الْعِلْمُ الْجَمُّ وَالْفَضْلُ وَالْحِلْمُ" (٢).

وابن مسعود كان من فقهاء الصحابة، وبعث للكوفة ليقرئهم القرآن، ويعلمهم الشرائع والأحكام، فبث عَبْد الله فيهم علماً كثيرا، وفقهَ منه جماً غفيرا، قال عنه عمر بن الخطاب: " كنيف مليء فِقْهًا "(٣).

وكذلك الحال في التقدم في مراتب العلم والفضل لزيد بن ثابت زيد حيث كان عالم متمكن من إقراء القرآن وتفسيره والقضاء والفتوى، ولا غرو في ذلك فقد تربى في كنف الوحي، وتلقى القرآن مشافهةً من النبي ﷺ، وكانت نتيجة ذلك أصبحت قدمه راسخة في الإقراء ولديه علم واسع بمعاني الآيات، وصار شيخ المقرئين مدة إقامته بالمدينة النبوية وبذل جهد كبير في تعليم الناس تلاوة القرآن الكريم(٤).

عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: "غَلَبَ زَيْدٌ النَّاسَ عَلَى اثْنَتَيْنِ: الفَرَائِضِ، وَالقُرْآنِ " (٥).

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بنِ يَسَارٍ، قَالَ: " مَا كَانَ عُمَرُ، وَعُثْمَانُ يُقَدِّمَانِ عَلَى زَيْدٍ أَحَداً فِي الفَرَائِضِ، وَالفَتْوَى، وَالقِرَاءَةِ، وَالقَضَاءِ "(٦).

وعن قَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبِ بْنِ حَلْحَلَةَ قَالَ: "كَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مُتَرَئِّسًا بِالْمَدِينَةِ فِي الْقَضَاءِ وَالْفَتْوَى وَالْقِرَاءَةِ وَالْفَرَائِضِ فِي عَهْدِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ فِي مَقَامِهِ بِالْمَدِينَةِ ".

قال الأدنروي:" المقرئ الفرضي كَاتب رَسُول الله صلى الله تَعَالَى عَلَيْهِ وَسلم كَانَ عَالما بِالْقُرْآنِ ومعانيه "(٧).

٧-أن عملية نسخ المصاحف في عهد عثمان بن عفان ليست عملية فردية قام بها زيد بن ثابت فحسب، وإنما مشاركة جماعية تم اختيار أعضاؤها بعناية فائقة، فرئيس

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (٩٩١/٣).

(٢) البداية والنهاية (٣٥٨/٥).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢٦٠/٢)، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (٤٨١/١).

(٤) انظر: معرفة القراء الكبار (١٧/١)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٢/ ٤٢٦).

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٧١/٢).

(٦) المرجع السابق (٢٧١/٢).

(٧) طبقات المفسرين (٦/١).

التنفيذي زيد بن ثابت وتعاون معه النفر الثلاثة القرشيين، والمشرف العام المتابع لمشروع نسخ المصاحف عثمان بن عفان والدليل حديث أنس بن مالك قال: "فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف"(١).

قال أبو عمرو الدَّاني في سبب جعل زيد مع غيره في عملية النسخ: "إنما فعل ذلك حين بلغه اختلاف الناس في القراءة لكي يحصل القرآن مجموعا على لغة قريش خاصّة إذ لغتها القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ، وأنَّ قراءته كانت على آخر عرضة عرضها النبي على جبريل –عليه السلام–، وهذه الاشياء توجب تقديمه لذلك وتخصيصه به لامتناع اجتماعهما في غيره وان كان كل واحد من الصحابة گ له فضله وسابقته فلذلك قدَّمه أبو بكر ﷺ لكتاب المصاحف وخصّة به دون غيره من سائر المهاجرين والأنصار ثم سلك عثمان ﷺ طريق أبي بكر في ذلك إذ لم يسعه غيره...وجعل معه النفر القرشيين ليكون القرآن مجموعاً على لغتهم ويكون ما فيه من لغات ووجوه من ذلك على مذهبهم دون مالا يصحّ من اللغات ولا يثبت من القراءات"(٢).

وقد حدد لهم عثمان خطة جمع القرآن على حرف واحد لدرأ بؤرة النزاع، فأمر أعضاء اللجنة في الاختلاف الاحتكام إلى اللسان القرشي، وكانت عضوية سعيد ابن العاص وعبد الله بن الزبير بناء على تمكنهما للغة قريش، أما عبد الله ابن مسعود فلم يكن يرجع إلى قريشاً ليحتكم إليه، بل كان من هذيل، وهذيل تختلف في لهجتها كثيراً عن قريش.

فيتبين مما مضى أن عدم مشاركة ابن مسعود في اللجنة لم تكن إقصاءً من عثمان، بل إن الشروط المؤطرة لعملية الجمع لم تتوافر فيه ﷺ.

٨- لم يهدف عثمان بن عفان ﷺ من تخصيص زيد بن ثابت ﷺ لمهمة نسخ المصاحف النيل من قدر عبد الله ابن مسعود ﷺ، أو التنقص من مكانته فقد بلغ شأواً عظيماً لدى الصحابة ﷺ.

فعثمان بن عفان ﷺ لما أسند الوظيفة لزيد بن ثابت ﷺ كان لا ينظر إلى الاعتراضات التي أثارها عبد الله ابن مسعود ﷺ وهي ليست ملزمة له في تقديمه لجمع القرآن، وإنما

(١) سبق تخريجه في مبحث التمهيد (٦).

(٢) المقنع في رسم مصاحف الأمصار (١٢٤).

ينظر إلى المؤهلات التي انفرد بها زيد بن ثابت ﷺ التي ستكون عاملاً قوياً لإنجاز العمل كما يرام.

وجانب آخر لا يتبادر للذهن أن انتقاء زيد بن ثابت ﷺ في كل مراحل الجمع للقرآن أنه فاق الخلفاء الراشدين الأربعة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفَّان، وعلي بن أبي طالب ﷺ قدراً، ولا تماثل معهم في المنزلة، فالاختيار لم يكن من باب المفاضلة بينه وبين عبد الله ابن مسعود ﷺ، ولا مع أحد من الصحابة، فالانتخاب وقع لزيد بن ثابت ﷺ من بين أئمة الحفاظ وكتاب الوحي، ولم تكن المفاضلة مقتصره على عبد الله ابن مسعود ﷺ فحسب.

٩- أن مصدر زيد بن ثابت ﷺ في النسخ لم يقتصر على حفظه وحفظ الصحابة الأثبات، بل مصدره الصحف المحفوظة عند حفصة بنت عمر~ التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق ﷺ ودليله ما جاء في حديث أنس بن مالك أنه قال: " فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان "[(١)].

فجمع المصحف في عهد عثمان هو على نسق جمع مصحف أبي بكر، ونسخت منه نسخ متعددة لسد باب النزاع، والقضاء على الاختلاف.

المطلب الثالث: تراجع ابن مسعود عن موقفه من الجمع العثماني للقرآن الكريم

قبل كشف اللثام عن الموقف الحقيقي لابن مسعود من الجمع العثماني أود أن استعراض موقف الصحابة ﷺ بعامة من نسخ المصاحف، حيث نال على استحسانهم، بل أجمعوا على قبوله جملة وتفصيلاً، واعتبروا هذا العمل من مناقب عثمان بن عفان الكبار وحسناته العظيمة بالأمة، وقد وردت عنهم نصوص تصرح بتأييدهم وموافقتهم، منها:

١- أنَّ أبا هريرة ﷺ دخل على عثمان بن عفان ﷺ بعد نسخ المصاحف فقال: "أصبت ووفقت أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن أشد أمتي حباً لي قوم يأتون من بعدي، يؤمنون بي ولم يروني، يعملون بما في الورق المعلق، فقلت: أي ورق؟ حتى رأيت المصاحف، قال: فأعجب ذلك عثمان، وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف، وقال: والله ما علمت أنك لتحبس علينا حديث نبينا ﷺ"[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه في مبحث التمهيد (ص:٦).

(٢) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٢١٧/٧)، والحاكم في المستدرك (٩٦/٤)، والبزار في مسنده (٤١٣/١).

٢- قال علي بن أبي طالب ﷺ: " أيها الناس إياكم والغلو في عثمان، تقولون حرق المصاحف والله ما حرقها إلاَّ على ملأ من أصحاب محمد، ولو وليت مثل ما ولّى لفعلت مثل الذي فعل "(١).

وقال: "يرحم الله عثمان لو كنت أنا لصنعت في المصاحف ما صنع عثمان "(٢).

٣- قال مصعب بن سعد ﷺ قال:" أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك وقال لم ينكر ذلك منهم أحد"(٣).

٤- قال زيد بن ثابت ﷺ: " فرأيت أصحاب محمد ﷺ يقولون: أحسن والله عثمان، أحسن والله عثمان " (٤).

٥- عن أبي مجلز قال: "لولا أن عثمان كتب القرآن لألفيت الناس يقرؤون الشعر"(٥).

فيتضح مما مضى التأييد الجمعي من كل الصحابة ﷺ للجمع العثماني؛ لأنهم أدركوا الأبعاد المستقبلية الإيجابية لهذه المبادرة الكريمة من عثمان بن عفان ﷺ ولم يخالف الجماعة إلا عبد الله ابن مسعود ﷺ، وقد انتقدوا موقفه من ذلك، فعن علقمة قال قدمت الشام فلقيت أبي الدرداء فقال: " كنا نعد عبد الله حنانا، فما باله يواثب الأمراء "(٦).

وروى الزهري قال: " بلغني أن ذلك كرِهه من مقالة ابن مسعود رجال أفاضل من أصحاب النبي ﷺ "(٧).

وعتب عثمان بن عفان ﷺ على ابن مسعود ﷺ مخالفته فقال له: " هل أنت منتهٍ عما بلغني عنك فاعتذر بعض العذر؟ "(٨).

وفي الحقيقة أن عبد الله بن مسعود ﷺ لم يستمر على معارضته، واستجاب لما طلب منه عثمان بن عفان ﷺ، وتراجع عن موقفه السابق، فنبذ الفرقة ووافق جماعة المسلمين، يقول ابن كثير: " وقد روي عن ابن مسعود أنه تعتب لما أخذ منه مصحفه

(١) رواه ابن أبي دواد في المصاحف (٦٠).

(٢) رواه أبو شامة في المرشد الوجيز (١٨٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٤٥/٣٩).

(٣) رواه ابن أبي دواد في المصاحف (٦٨).

(٤) رواه البغوي في شرح السنة (٥٢٤/٤)، والنيسابوري في تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٧/١).

(٥) رواه ابن أبي دواد في المصاحف (٦٩).

(٦) تاريخ دمشق، لابن عساكر (١٠٢/٣٣)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٨٠/٣).

(٧) رواه الترمذي في السنن (١٣٦/٥)، ابن أبي دواد في المصاحف (١٨٨).

(٨) رواه أحمد في المسند (٦٦/١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٧/٧): " ورجاله ثقات ".

فحرق، وتكلم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف... فكتب إليه عثمان ﷺ يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك، وجمع الكلمة، وعدم الاختلاف، فأناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة ﷺ أجمعين"(١).

بل نقلت عنه آثار يثبت من خلالها تأييده لعمل عثمان فقد أقر الجمع العثماني؛ لكونه تم وفق الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، فعن فلفلة الجعفي قال: " فزعت فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف فدخلنا عليه فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين ولكن جئناك لما راعنا هذا الخبر، فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم ﷺ من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وإن الكتاب قبلكم كان ينزل أو نزل من باب واحد على حرف واحد معناهما واحد "(٢).

ونهى عن تعصب كل قارئ بقراءته بعدما اتفق السلف الصالح على قبول الجمع العثماني فعن شقيق قال: قال عبد الله:" إني قد سمعت إلى القرأة، فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم، وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال "(٣).

وعن عبد الله بن مسعود قال: "أنه أتاه ناس من أهل الكوفة فقرأ عليهم السلام وأمرهم بتقوى الله ،، وأن لا يختلفوا في القرآن ولا يتنازعوا فيه، فإنه لا يختلف ولا ينسى ولا ينفُذُ لكثرة الرد، أفلا يرون شريعة الإسلام فيه واحدة، حدودها وفرائضها وأمر الله فيها، ولو كان شيء من الحَرْفَيْن يأتي شيء ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف، ولكنه جامع ذلك كله، وإني لأرجو أن يكون قد أصبح فيكم اليوم من الفقه والعلم من خير ما في الناس، ولو أعلم أحداً تبلغنيه الإبل هو أعلم بما أنزل على محمد لقصدته حتى أزداد علما إلى علمي، فقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يعرض عليه القرآن في كل عام مرة فعرض عام توفي فيه مرتين، فكنت إذا قرأت عليه أخبرني أني محسن، فمن قرأ على

(١) البداية والنهاية (٢٤٤/٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٤٤٥/١)، والنسائي في "السنن الكبرى" (٢٤٤/٧)، وابن شبه في "تاريخ المدينة" (١٠٠٦/٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢/٧): " رواه أحمد، وفيه: عثمان بن حسان العامري وقد ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرحه، ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات".

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٥٠/١)، وابن شبه في تاريخ المدينة (١٠٠٧/٣)، فضائل القرآن، للمستغفري (٣٧١/١).

قراءتي فلا يدعها رغبة عنها، ومن قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدعه رغبة عنه، فإن من جحد بحرفٍ منه جحد به كلِّه "[1].

وقد نوَّه العلماء برجوع ابن مسعود ﷺ عن رأيه، فبوَّب أبو داود في كتابه "المصاحف" باباً بعنوان: "رضاء عبد الله بن مسعود بجمع المصاحف" وذكر رواية فلفة الجعفي السابقة.

وقال ابن كثير: "وإنما روي عن عبد الله بن مسعود شيء من التغضُّبِ بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف...ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق "[2].

وقال الذهبي: " وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ وَتَابَعَ عُثْمَانَ وَلِلَّهِ الحَمْدُ " [3].

وقَالَ أَبُو بَكْرٍ الأنباري: " وَمَا بَدَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِنْ نَكِيرِ ذَلِكَ فَشَيْءٌ نَتَجَهُ الْغَضَبُ، وَلَا يُعْمَلُ بِهِ ولا يؤخذ به، ولا يشك في أنه ﷺ قَدْ عَرَفَ بَعْدَ زَوَالِ الْغَضَبِ عَنْهُ حُسْنَ اخْتِيَارِ عُثْمَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبَقِيَ عَلَى مُوَافَقَتِهِمْ وَتَرَكَ الْخِلَافَ لَهُمْ"[4].

وقال بن عساكر: " وقد روي عن ابن مسعود أنه رضي بذلك وتابع ووافق رأي عثمان في ذلك وراجع عن رجل "[5].

وقال الباقلاني: " وقد وردت الروايات أن عثمان وعظه وحذره الفرقة فرجع واستجاب إلى الجماعة، وحث أصحابه على ذلك "[6].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩٧/١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢٠/٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠٢/٣٣).

(٢) فضائل القرآن (٦٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٨٠/٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥٣/١).

(٥) تاريخ دمشق (١٠٢/٣٣)

(٦) نكت الانتصار (٢٠٠).

المبحث الثاني: موقف ابن مسعود من المعوذتين،

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عرض الروايات الواردة في موقف ابن مسعود من المعوذتين

نقل عن عبد الله بن مسعود ﷺ آثار تصرح بمجموعها إنكاره كون المعوذتين من كتاب الله تعالى، وكان يمحوهما من المصحف(١)، وسأعرض هذه الروايات كما يلي:

أولاً: عن أبي عبد الرحمن السّلمي، عن ابن مسعودﷺ أنه قال: " لا تخلطوا بالقرآن ما ليس فيه، فإنما هما معوذتان، تعوذ بهما النبي ﷺ {قل أعوذ برب الفلق}، و{قل أعوذ برب الناس} وكان عبد الله يمحوهما من المصحف" (٢).

ثانياً: عن علقمة النَّخعي، عن ابن مسعود ﷺ: " أنه كان يَحكُّ المعوذتين من المصحف ويقول: إنما أمر النبي ﷺ أن يعوَّذ بهما، وكان عبد الله لا يقرأ بهما "(٣).

ثالثاً: عن عبد الرحمن بن يزيد النَّخغي قال: "كان عبد الله يحكّ المعوذتين من مصحفه ويقول: ليستا من كتاب الله "(٤).

رابعاً: عن عبد الرحمن بن يزيد النخغي قال: " رأيت ابن مسعود ﷺ يَحكُّ المعوذتين من المصحف ويقول: لا يحل قراءة ما ليس منه "(٥).

خامساً: عن عبد الرحمن بن يزيد النَّخغي قال: " رأيت عبد الله يحك المعوذتين ويقول: لم تزيدون ما ليس فيه؟ " (٦).

---

(١) ذكر رأي ابن مسعود –ﷺ – عدد من الأئمة، منهم: ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٥٣١/٨)، والزركشي في البرهان (٢/ ١٢٨). والشوكاني في فتح القدير (٦٣٧/٥)، والشنقيطي في أضواء البيان (١٥٧/٩). وابن عاشور في التحرير والتنوير (٦٢٥/٣٠).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣٥/٩)، في الاسناد عن عبد الحميد الهلالي الكوفي، قال ابن معين عنه: ثقة، وحكم بضعفه الدار قطني، وقال ابن حجر: صدوق يخطئ، فالإسناد حسن، انظر: تقريب التهذيب (٣١٢/٢).

(٣) رواه البزار في مسنده (٣٩/٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٠/٣٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٩٦/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٩/٧): " رواه البزار والطبراني، ورجالهما ثقات".

(٤) رواه أحمد في المسند (١١٧/٣٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٦٨/٩)، وابن حجر في فتح الباري (٧٤٢/٨) والسيوطي في الدر المنثور (٨٦٣/٨) إسناده صحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩/٨): " رجاله ثقات وصحح إسناده الشيخان أحمد شاكر وشعيب الأرناؤوط في تحقيقهما للمسند ".

(٥) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (١٠١٠/٣)، وحكم على الإسناد بالصحة.

(٦) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣٤/٩).

سادساً: وفي رواية أخرى عنه قال: " رأيت عبد الله يحكّ المعوذتين ويقول: لا تخلطوا فيه ما ليس منه "[1].

يظهر مما تقدم أن عبد الله ابن مسعود ﷺ يرى أن المعوذتين ليستا من جملة السور المنزلة من القرآن الكريم، وبناءً عليه يرى أنه لا يستلزم كتابتهما مع سور القرآن فكان يمحوهما من المصحف، وسأستعرض بالتفصيل كلام الأئمة في بيان رأي عبد الله بن مسعود ﷺ في المبحث القادم.

المطلب الثاني: أقوال الأئمة في الروايات الواردة في موقف ابن مسعود من المعوذتين

اختلف الأئمة في روايات عبد الله بن مسعود ﷺ في المعوذتين إلى وانقسموا إلى طائفتين هما:

الطائفة الأولى:

ذهبت إلى قبول الروايات عن ابن مسعود ﷺ في موقفه من المعوذتين، وذكروا علل مختلفة في بيان معنى الإنكار في الروايات المنقولة[2]، وإليك بيان أقوالهم في ذلك:

- **قال القاضي أبي بكر الباقلاني:** " لم يصح عنه أنها ليست من القرآن، ولا حفظ عنه، إنما حكها وأسقطها من مصحفه إنكاراً لكتابتها، لا جحداً لكونها قرآناً؛ لأنه كانت السنة عنده ألا يكتب السنة في المصحف إلا ما أمر النبي ﷺ بإثباته فيه، ولم يجده كتب ذلك، ولا سمعه أمر به "[3].
- **قال القاضي عياض اليحصبي:** " وأما ابن مسعود ¬ فقد رويت عنه روايات كثيرة، مَنها ما لم يثبت عند أهل النقل، وما ثبت منها مما يخالف ظاهر ما قلناه.. أيضا مالا روى من إسقاط المعوذتين من مصحفه على أنه اعتقد أنه لا يلزمه أن يكتب كل ما كان من القرآن، وإنما يكتب منه ما كان له فيه غرض، وكأن المعوذتين لقصرهما وكثرة دورهما في الصلاة والتعوُذ بهما عند سائر الناس اشتهرت، فذلك اشتهار يستغنى معه عن إثبات ذلك في المصحف "[4].

---

(١) رواه ابن أبي شيبه في "مصنفه" (١٤٦/٦)، رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢٣٤/٩)، وصححه ابن حجر في "فتح الباري" (٧٤٣/٨)، والسيوطي في "الدر المنثور" (٦٨٣/٣)، والشوكاني في "فتح القدير" (٥١٨/٥) والإسناد صحيح.

(٢) انظر: الاتقان، للسيوطي (٢٧٠/١)

(٣) نكت الانتصار (٣١٧/١).

(٤) إكمال المعلم (١١٣/٣).

- **قال ابن قتيبة:** " وسببه في تركه إثباتهما في مصحفه؛ أنه كان يرى النبي ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين، ويعوذ غيرهما، كما كان يعوذهما بـــ "أعوذ بكلمات الله التامة" فظن أنهما ليستا من القرآن، فلم يثبتهما في مصحفه."[١].

وقال: " وأما نقصان مصحف عبد الله بحذفه أمّ الكتاب والمعوّذتين، وزيادة أبيّ بسورتي القنوت– فإنا لا نقول: إن عبد الله وأبيًّا أصابا وأخطأ المهاجرون والأنصار، ولكنّ عبد الله ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن المعوذتين كانتا كالعوذة والرّقية وغيرها، وكان يرى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يعوّذ بهما الحسن والحسين وغيرهما، كما كان يعوّذ بأعوذ بكلمات الله التّامة، وغير ذلك، فظنّ أنهما ليستا من القرآن، وأقام على ظنّه ومخالفة الصحابة جميعا "[٢].

- **قال القرطبي:** "وقال بعض الناس: لم يكتب عبد الله المعوذتين لأنه أمن عليهما من النسيان، فأسقطهما وهو يحفظهما، كما أسقط فاتحة الكتاب من مصحفه، وما يشك في حفظه وإتقانه لها "[٣].
- **قال الإمام ابن كثير:** " أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فلعله لم يسمعهما من النبي ﷺ، ولم يتواتر عنده "[٤].

إذاً يتضح مما مضى أن خلاصة تعليلات الأئمة في محو عبد الله بن مسعود المعوذتين كما يلي:

١– أن المراد بإنكار عبد الله بن مسعود ﷺ للمعوذتين إنكار كتابتهما في المصحف، وليس إنكاراً لقرآنيتهما، فهو لا يكتب بالمصحف إلا ما ورد الأذن النبوي بكتابته، ولم يبلغه علم بكتابة المعوذتين.

ويرد عليهم أن أصحاب هذا القول يخالفون النصوص الصريحة التي نصت على نفيه أنهما من القرآن وهو قوله: " إنهما ليستا من كتاب الله"[٥].

يقول ابن حجر: " وهو تأويل حسن إلا أن الرواية الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها: "ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله"[٦] ويمكن حمل لفظ " كتاب الله "على المصحف فيتم التأويل المذكور، لكن من تأمل سياق الطرق المذكورة استبعد هذا

(١) تأويل مختلف الحديث، (٧٦).
(٢) تأويل مشكل القرآن (١٩٢/١).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٥١/٢٠).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه .
(٦) سبق تخريجه .

الجمع، وقد أجاب ابن الصباغ فقال: بأنه لم يستقر عنده القطع بذلك ثم حصل الاتفاق بعد ذلك وحاصله أنهما كانتا متواترتين في عصره لكنهما لم يتواترا عنده "[١].

٢- اعتقاد عبد الله بن مسعود ﷺ أن المعوذتان دعاء ورقية كان النبي ﷺ يأمر بقراءتهما في الصلاة، ويوصي بالتعوذ بهما فظن أنهما ليستا من القرآن، فلم يكتبهما في المصحف.

يرد عليهم أن ثبتت روايات مرفوعة عن سماع الصحابة ﷺ بتلقيهما من النبي ﷺ فهما من جملة السور المنزلة، بقول أبو بكر الأنباري في تعليقه على كلام ابن قتيبة المتقدم: " وهذا مردود على ابن قتيبة، لأن المعوذتين من كلام رب العالمين، المعجز لجميع المخلوقين، و" أعيذكما بكلمات الله التامة" من قول البشر بين، وكلام الخالق الذي هو آية لمحمد ‘خاتم النبيين، وحجة له باقية على جميع الكافرين، لا يلتبس بكلام الآدميين، على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان، العالم باللغة، العارف بأجناس الكلام، وأفانين القول "[٢].

يقول القرطبي: " وزعم ابن مسعود أنهما دعاء تعوذ به، وليستا من القرآن، خالف به الإجماع من الصحابة وأهل البيت "[٣].

٣- أن عبد الله بن مسعود ﷺأمن على نفسه حفظ المعوذتان، وعدم نسيانهما فأسقطهما وهو ضابط لهما، كما أسقط الفاتحة من المصحف.

يرد عليهم بما قاله القرطبي: " فرد هذا القول على قائله، واحتج عليه بأنه قد كتب: (إذا جاء نصر الله والفتح)، و (إنا أعطيناك الكوثر)، و (قل هو الله أحد) وهن يجرين مجرى المعوذتين في أنهن غير طوال، والحفظ إليهن أسرع، ونسيانهن مأمون، وكلهن يخالف فاتحة الكتاب، إذ الصلاة لا تتم إلا بقراءتها، وسبيل كل ركعة أن تكون المقدمة فيها قبل ما يقرأ من بعدها، فإسقاط فاتحة الكتاب من المصحف، على معنى الثقة ببقاء حفظها، والأمن من نسيانها، صحيح، وليس من السور ما يجري في هذا المعنى مجراها، ولا يسلك به طريقها"[٤].

---

(١) فتح الباري (٧٤٢/٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٥١/٢٠).

(٣) المرجع السابق (٢٥١/٢٠).

(٤) المرجع السابق (٢٥١/٢٠).

٤- أن عبد الله ابن مسعود ﷺغاب عنه عدم العلم بقرآنية المعوذتين [١] فقد تلقى من النبي ﷺ سبعون سورة فحسب، وحفظ ما تبقى بعد الرسول ﷺ، ولم يعلم بقرآنية المعوذتين التي تواترت عن أئمة الحفاظ من طبقة الصحابة ﷺ.

يرد عليهم أن كتاب الله كما هو معلوم متواتراً في عصر بن مسعود، لكن من المحتمل أن المعوذتين لم تتواتر عند بن مسعود[٢] فلم يكن لديه علم بقرآنية هاتين السورتين أنها من القرآن، ثم إن الأمة أجمعت بالاتفاق على أنهما من كتاب الله تعالى، وقد ترك ابن مسعود ما يراه وانضم لقول الجماعة من الصحابة ﷺ بعد ذلك.

الطائفة الثانية:

ذهبوا إلى إنكار الروايات المنقولة في إثبات موقف عبد الله ابن مسعود ﷺ من المعوذتين[٣]، وإليك بيان أقوالهم في ذلك:

١-قال ابن حزم: "وكل ما روي عن ابن مسعود من أنَّ المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع لا يصح؛ وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود وفيها أم القرآن والمعوذتين"[٤].

٢-قال النووي: "أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئا منه كفر، وما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين باطل ليس بصحيح عنه"[٥].

٣-قال الإمام فخر الدين الرازي: "نقل في الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة من القرآن، وكان ينكر كون المعوذتين من القرآن، واعلم أن هذا في غاية الصعوبة لأنا إن قلنا إن النقل المتواتر كان حاصلا في عصر الصحابة بكون سورة الفاتحة من القرآن فحينئذ كان ابن مسعود عالما بذلك فإنكاره يوجب الكفر أو نقصان العقل، وإن قلنا إن النقل المتواتر في هذا المعنى ما كان حاصلا في ذلك الزمان فهذا يقتضي أن يقال إن نقل القرآن ليس بمتواتر في الأصل وذلك يخرج القرآن عن

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥٣١/٨)، مناهل العرفان، للزرقاني (٢٢٧/١).

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٧٤٢/٨).

(٣) انظر: مناهل العرفان، للزرقاني (٢٢٧/١).

(٤) المحلى(٣٢/١).

(٥) المجموع شرح المهذب (٣٩٦/٣).

كونه حجة يقينية، والأغلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل كاذب باطل، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة"[1].

يبدو مما سبق أن الدافع لرأيهم لإنكار الروايات يعود لعدة أسباب سأستعرضها مع تفنيدها كالآتي:

١- أن هذه الروايات من وجهة نظرهم باطلة وموضوعة على عبد الله بن مسعود ﷺ وهذا الدافع الرئيس لسبب إنكارهم لها.

ويرد عليهم أن الروايات المنقولة صحيحة والتشكيك في صحتها بلا دليل مرفوض، قال ابن حجر قال: "وأما قول النووي في شرح المهذب أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن وأن من جحد منهما شيئا كفر، وما نقل عن بن مسعود باطل ليس بصحيح ففيه نظر، وقد سبقه لنحو ذلك أبو محمد بن حزم فقال في أوائل المحلى ما نقل عن بن مسعود من إنكار قرآنية المعوذتين فهو كذب باطل،كذا قال الفخر الرازي في أوائل تفسيره الأغلب على الظن أن هذا النقل عن بن مسعود كذب باطل والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل" [2].

٢-**عدم معرفتهم بموقف الصحيح لابن مسعود من المعوذتين فبعضهم يرى أنه أنكر قرآنية المعوذتين**، ويرد عليهم إن الحقيقة التي لا ريب فيها أن ابن مسعود لم ينكر نزولهما على الرسول ﷺ، بل أنكر كونهما من سور القرآن فحسب.

٣-ظنهم أن إثبات إنكار ابن مسعود للمعوذتين ينقض الإجماع؛ لأنه يؤدي للكفر ومن ثم يخالف النقل المتواتر المجمع عليه عند الصحابة ﷺ.

ويرد عليهم إن كانوا يقصدون حصول نقض في الإجماع زمن تدوين وجمع المصحف فهذا لا يعد كفر؛ لكونهم لم ينتهوا بعد من الجمع، وأيضاً اختلاف الصحابة في طرق تلقيهم القرآن من الرسول ﷺ فبعضهم قليل الرواية، وبعضهم كثير الرواية، فالخلاف حاصل فلم ينقل إلينا أن أخذ كل واحد منهم يكفر الآخر لاختلاف طريقته عن الآخر في التلاوة، بل كانوا يلتمسون بعضهم العذر لبعض لعدم سماعه بما نقل عن الرسول ﷺ.

أما إن كانوا يقصدون الإجماع بعد الاتفاق على الجمع العثماني فهذا إجماع متواتر ومخالفته بإنكار شيء من القرآن الكريم يصل إلى درجة الكفر.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٩٠/١).

(٢) فتح الباري (٧٤٢/٨).

ولكن الصحيح أن ابن مسعود رجع عن موقفه، وانضم لجماعة المسلمين بعد إقرارهم الجمع القرآني في عهد عثمان بن عفان ﷺ.

وقد نقد ابن حجر كلام الإمام النووي والرازي فقال: "والإجماع الذي نقله إن أراد شموله لكل عصر فهو مخدوش وإن أراد استقراره فهو مقبول وقد قال بن الصباغ في الكلام على مانعي الزكاة وإنما قاتلهم أبو بكر على منع الزكاة ولم يقل إنهم كفروا بذلك وإنما لم يكفروا لأن الإجماع لم يكن استقر.

قال ونحن الآن نكفر من جحدها قال وكذلك ما نقل عن بن مسعود في المعوذتين يعني أنه لم يثبت عنده القطع بذلك ثم حصل الاتفاق بعد ذلك.

وقد استشكل هذا الموضع الفخر الرازي فقال: إن قلنا إن كونهما من القرآن كان متواترا في عصر بن مسعود لزم تكفير من أنكرهما وإن قلنا إن كونهما من القرآن كان لم يتواتر في عصر بن مسعود لزم أن بعض القرآن لم يتواتر، قال: وهذه عقدة صعبة.

وأجيب باحتمال أنه كان متواترا في عصر بن مسعود لكن لم يتواتر عند بن مسعود فانحلت العقدة بعون الله تعالى "[1].

٤-أن نسبة هذا الفعل لصحابي له مكانة مرموقة عند الصحابة ﷺ يعد ثغرة عظيمة في سيرته المضيئة؛ ولأجل ذلك يرون تنزيه وقوعه من عبد الله بن مسعود ﷺ.

ونرد عليهم أن الله تعالى جبل بنو آدم على الخطأ، والعصمة لم ينفرد بها سوى الرسلپ، والصحابة يجري عليهم الزلل كسائر البشر فهم غير معصومون، ومنهم ابن مسعود ﷺ فهو مجتهد، والمجتهد قد يصيب وقد يخطأ، وقد اجتهد وأخطأ والله عفو غفور.

وليعلم علم اليقين أن هذا الخطأ لا يمكن أن يمس بأي حال من الأحول بالمنزلة الرفيعة لعبد الله بن مسعود –ﷺ – فله سابقة في الدين، ومآثر جليلة في تعليم ونشر القرآن وسنة سيد المرسلين.

(١) فتح الباري (٧٤٢/٨).

٥-إن الإقرار بحصول هذا الإنكار من ابن مسعود -رضي الله عنه- للمعوذتين يكون وسيلة لأعداء الإسلام في إثارة الشبهات حول تواتر القرآن الكريم.

ونرد عليهم غالباً أن النصوص التي يسوقها الأعداء لشبههم متهالكة، وأقوالهم التي تقوم عليها هزيلة ضعيفة لا يمكن أن تدحض النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة.

إضافةً لذلك فإن تجلية الموقف الحقيقي لصحابي عبد الله ابن مسعود ﷺ بتراجعه عن موقفه، ومتابعته للجماعة دليل قاطع على إخلاص النية ابتغاء مرضاة الرب ﷻ وإيثاره لزوم الحق، وصفاء الطوية.

- **المطلب الثالث: القول الراجح في موقف عبد الله بن مسعود من المعوذتين**

بعد استعراض أقوال الأئمة يظهر لي أن القول الراجح في موقف عبد الله ابن مسعود -ﷺ- للمعوذتين أنه لم يكتبهما في المصحف، وما صدر منه هو اجتهاد منه بحسب ما بلغه إليه علمه، وقد أخطأ – ﷺ – في اجتهاده، فرأيه غير مقبول ومردود لأسباب هي:

١/ مخالفته للروايات الصحيحة في ثبوت قرآنية المعوذتين، فقد وردت نصوص نبوية تشهد على أن المعوذتين من سور القرآن المنزلة على الرسول ﷺ، فعن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: " اقرأ يا جابر قلت: وما أقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال: اقرأ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس فقرأتهما، فقال: اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما "[(١)].

وعن عائشة قالت: «كان النبي ﷺ يقرأ في الركعة الأولى من الوتر بـ {سبح اسم ربك الأعلى}، وفي الثانية بـ {قل يا أيها الكافرون}، وفي الثالثة بـ {قل هو الله أحد} و {قل أعوذ برب الفلق}، و {قل أعوذ برب الناس}»[(٢)].

وعن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط، قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس»[(٣)].

٢/ أن أئمة الحفاظ من الصحابة ﷺ أثبتوا بالخبر المتواتر تلقيهم المعوذتين عن الرسول ﷺ، وإنكارهم لموقف عبد الله بن مسعود ﷺ فعن زر بن حبيش قال: " قلت لأبي بن

---

(١) رواه النسائي في "السنن الكبرى" (٢٠٠/٧)، وابن حبان في "صحيحه" (٧٦/٣).

(٢) رواه أحمد في "المسند" (٢٢٧/٦)، والحاكم في "المستدرك" (٤٤٧/١) وقال: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وإسناده صحيح ".

(٣) رواه مسلم في "الصحيح" (٥٨٨/١).

كعب: إن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه؟ فقال: أشهد أن رسول الله ﷺ، أخبرني أن جبريل –عليه السلام– قال له: {قل أعوذ برب الفلق} فقلتها، فقال: {قل أعوذ برب الناس} فقلتها فنحن نقول ما قال النبي ﷺ"(١).

قال ابن عاشور: " واشتهر عن عبد الله بن مسعود في الصحيح أنه كان ينكر أن تكون المعوذتان من القرآن ويقول: إنما أمر رسول الله أن يتعوذ بهما، أي ولم يؤمر بأنهما من القرآن، وقد جمع أصحاب رسول الله ﷺعلى القراءة بهما في الصلاة وكتبتا في مصاحفهم، وصح أن النبي ﷺ قرأ بهما في صلاته"(٢).

٣/ أن مذهب الصحابة ﷺ في إثبات المعوذتين قام على العلم وموقف عبد الله بن مسعود ﷺ يخالفه؛ لأنه قام على عدم العلم، فمن علم حجة على من لم يعلم.

٤/ أن الصحابة ﷺ أجمعوا على إثبات المعوذتين في المصحف الإمام، وفي كل المصاحف التي بعثوها لأنحاء الدولة الإسلامية، ولم ينقل عن أحد من الصحابة ﷺ، متابعة ابن عبد الله مسعود ﷺ في قوله، فمذهبهم هو الصحيح المقبول.

قال البزار: " وكان عبد الله لا يقرأ بهما، وهذا الكلام لم يتابع عبد الله عليه أحد من أصحاب النبي ﷺ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأ بهما في الصلاة وأثبتتا في المصحف "(٣).

٥/ لم ينقل عن أحد ممن تتلمذ على يدي عبد الله ابن مسعود ﷺ من طبقة التابعين أنه وافقه على رأيه، وتابعه عليه، فهذا فيه دلالة بينة أنه رأي خاطئ، منعدم القبول، فعن إبراهيم النخعي قلت للأسود بن يزيد – وكان من أعلم أصحاب ابن مسعود ﷺ من القرآن هما؟ – يعني المعوذتين – قال: نعم "(٤).

وأود أن أشير إلى أن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ قد رجع عن رأيه وتابع رأي أغلبية الصحابة ﷺ في إثبات قرآنية المعوذتين، وأنهما من سور القرآن الكريم، يقول الإمام ابن كثير: " ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة، فإن الصحابة، ﷺ، كتبوهما في المصاحف الأئمة، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك"(٥).

---

(١) رواه أحمد في "المسند" (١٢٩/٥)، رواه القاسم بن سلام في "فضائل القرآن" (٢٧٢).

(٢) التحرير والتنوير (٦٢٥/٣٠).

(٣) مسند البزار (٢٩/٥).

(٤) رواه ابي أبي شيبه في مصنفه (١٤٦/٦)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٣٠٣/١).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٥٣١/٨).

ويقول الشنقيطي: " يذكر المفسرون عن ابن مسعود أنه كان يراهما معوذتين من غير القرآن...ثم قد رجع عن قوله إلى قول الجماعة، فإن الصحابة ﷺ أثبتوهما في المصاحف الأئمة، ونفذوها إلى سائر الآفاق، وروي عن الإمام أحمد أن النبي ﷺ قرأ بهما في الصلاة وساق عدة طرق في إثبات أنهما قرآن، مما ينفي أي خلاف بعد ذلك في إثباتهما"(١).

وأيضاً مما يدل على رجوعه أن أسانيد القراء العشرة المتواترة في المصحف العثماني تعود إلى مصاحف عدد من الصحابة منهم: عبدالله بن مسعود ﷺ مما يدل دلالة قاطعة رجوعه عن رأيه(٢)، ورضاه وموافقته لما قام بع عثمان بن عفان ﷺ يقول الباقلاني: "إننا نعلمُ إجماعَ الأمةِ وسائرَ من رُويت عنهم هذه الرواياتُ من طريقٍ يوجب العلمَ تسليمَهم بمصحف عثمانَ والرضا به والإقرارَ بصحة ما فيه، وأنه هو الذي أنزلهُ اللهُ على ما أنزلهُ ورتّبه، فيجبُ إن صحت هذه القراءات عنهم أن يكونوا بأسرِهم قد رَجعوا عنها وأذعنوا بصحة مصحف عثمان، فلا أقل من أن تكونَ الرواية لرجوعهم إلى مصحفِ عثمانَ أشهر من جميعِ هذه الرواياتِ عنهم، فلا يجب الإحفال بها مع معارضة ما هو أقوى وأثبتُ منها " (٣).

المطلب الرابع: الرد على الشبهات المثارة حول موقف ابن مسعود من المعوذتين

أثار الأعداء قديماً وحديثاً شبهاً متعددة حول موقف ابن مسعود من المعوذتين، وقد تصدى العلماء لتفنيدها، وبيان زيفها وبطلانها بالأدلة النقلية والعقلية، ولكثرة هذه الشبهات فأقتصر على أبرز شبهتان مع الجواب عليها:

- **الشبهة الأولى:**

لو كانتا سورة الحفد والخلع اللتان في مصحف أبي بن كعب ﷺ من الأدعية فما الذي يمنعنا أن نعتبر الفاتحة والمعوذتين من الأدعية والصلوات كما اعتبرهما عبد الله بن مسعود ﷺ ولم يضمنهم في مصحفه(٤).

---

(١) أضواء البيان (١٥٧/٩).

(٢) انظر لتفاصيل أسانيد القراء الذين أخذوا عن عبد الله بن مسعود ﷺ في مناهل العرفان للزرقاني (٢٢٧/١).

(٣) الانتصار (٤٢٥/٢).

(٤) المصاحف المنسوبة للصحابة والرد على الشبهات المثارة حولها، للطاسان (٥٧٩-٥٨٠).

الجواب:

أولاً: فيما يتعلق بسورتي "الحفد" و"الخلع" فإنهما من القرآن المنسوخ تلاوةً قال الزركشي: " وذكر الإمام المحدث أبو الحسين أحمد بن جعفر المنادي في كتابه "الناسخ والمنسوخ" مما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه سورتا القنوت في الوتر قال: ولا خلاف بين الماضين والغابرين أنهما مكتوبتان في المصاحف المنسوبة إلى أبي بن كعب وأنه ذكر عن النبي ﷺ أنه أقرأه إياهما وتسمى سورتي الخلع والحفد"(١)، فيستا إذن من الأذكار فحسب بل كانتا قرآناً يتلى ثم نسخ رسمهما.

ثانياً: فيما يتعلق بموقف عبد الله بن مسعود ﷺمن الفاتحة، فعبد الله بن مسعود ﷺلم يقل يوماً ما أنها ليست من القرآن وإنما هي من الأذكار، وأما عدم كتابته لها فسبق بيان سببه وهو قوله عنما سئل: " لِمَ لم تكتب فاتحة الكتاب في مصحفك؟ قال: لو كتبتها لكتبتها مع كل سورة ".

ثالثاً: وأما موقفه من المعوذتين وحكه لهما من المصحف فلأنه كما قال سفيان بن عيينة: " كان يرى رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين ولم يسمعه يقرؤهما في شيء من صلاته فظن أنهما عوذتان وأصرَّ على ظنه وتحقق الباقون كونهما من القرآن فأودعوهما إياه "(٢)،وبنحو كلامه قال ابن قتيبة(٣)، ومع هذا الرأي أولاً تراجع عنه بدليل قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف البزار التي ينتهي إسنادها إليه، وهي نت القراءات العشر المتواترة والتي عليها المسلمون إلى اليوم (٤).

- **الشبهة الثانية:**

اتهام عبد الله بن مسعود ﷺ بإنكار بعض القرآن، والقول بوجود بعض الزيادة فيه(٥).

الجواب:

ما روي عن عبدالله بن مسعود ﷺ كان أول الأمرين ثم تراجع عنه بدليل قراءة عاصم وحمزة والكسائي التي ينتهي إسنادها إليه، وهي من القراءات العشر المتواترة والتي عليها المسلمون إلى اليوم، وعند التأمل في سبب إصرار الشيعة الإمامية الأثني عشرية

(١) البرهان (٣٧/٢).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٣٠/٥).

(٣) تأويل مشكل القرآن (٤٢).

(٤) المصاحف المنسوبة للصحابة والرد على الشبهات المثارة حولها، للطاسان (٥٨١).

(٥) المرجع السابق (٥٨١).

على هذا الأمر وهو الرأي الأول لعبدالله بن مسعود ﷺ دون الأمر الثاني وهو القاطع في المسألة وهي دعوى وجود النقص والتحريف في القرآن الكريم، فرجوع عبدالله بن مسعود -رضي الله – البين عن قراءته، واقرائه بالقراءة الموافقة للعرضة الأخيرة التي كتبت عليها المصاحف العثمانية رجوع يسوؤهم، ولا يفرحهم، ويجعلهم في عزلة وشذوذ عن المسلمين مما يدل على فساد معتقدهم[1].

(١) المصاحف المنسوبة للصحابة والرد على الشبهات المثارة حولها، للطاسان (٥٨٢).

الخاتمة:

بعد هذه الجولات العلمية التأملية في قضية موقف ابن مسعود ﷺ من الجمع العثماني للقرآن، كانت أبرز نتائج البحث ما يلي:

١- أن حصول الاختلاف والتنازع بين الناس في التلاوة حملت عثمان بن عفان على تكليف زيد بن ثابت على نسخ المصاحف وإرسالها لأمصار الدولة الإسلامية.

٢-أن الهدف من جمع القرآن الكريم في عهد عثمان ﷺ تخليص الناس من الفرقة والاختلاف وجمعهم على قراءة واحدة.

٣-أن السبب الرئيسي لاعتراض عبد الله بن مسعود على جمع عثمان؛ نظراً لعزله وعدم دعوته للمشاركة في العمل فهو يرى أنه أولى بالقيام بهذه المهمة الجليلة من زيد بن ثابت ﷺ.

٤-كان يتصور عبد الله بن مسعود أن أسبقيته للإسلام، ومبادرته في تلقي سبعون سورة من النبي ﷺ، وسعة علمه بكتاب الله وحصيلته العلمية الواسعة بعلومها، وشهوده العرضة الأخيرة للقرآن من الأسباب الوجيه للاعتراض على جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان ﷺ.

٥-أن الدوافع التِي حملت عثمان بن عفان بتكليف زيد بن ثابت بجمع القرآن الكريم لحفظه كامل القرآن، وملازمته لكتابة الوحي، وما انفرد به من سمات خَلَقية وخُلُقية وخبرة عملية ثرية، واستقرار مكاني في المدينة وشهوده العرضة الأخيرة ورسوخ في علم اقراء القرآن والتفسير والقضاء والفتوى.

٦- لم يكن سبب اعتراضات عبد الله بن ابن مسعود ﷺ لوقوع خلل أو زيادة أو نقص في عملية نسخ المصاحف؛ وإنما نشأة المعارضة لأن يرى أنه الأحق في تقديمه وتكليفه ومشاركته بهذا العمل الجليل من زيد بن ثابت ﷺ.

٧-كان أثر تكليف عثمان بن عفان ﷺ، زيد بن ثابت ﷺ بجمع القرآن فيه مشقة على عبد الله بن ابن مسعود ﷺ؛ لأنه عدل عنه مع فضله وسنه، وفوض ذلك إلى من هو بمنزلة ابنه.

٨-نال الجمع العثماني للقرآن الكريم على استحسان الصحابة ﷺ فقد أجمعوا على قبوله جملة وتفصيلاً، واعتبروا هذا العمل من مناقب عثمان بن عفان الكبار وحسناته العظيمة بالأمة.

٩-لم يستمر على معارضته عبد الله بن مسعود ﷺ للجمع العثماني للقرآن الكريم بل إنه ستجاب لما طلب منه عثمان بن عفان ﷺ، وتراجع عن اعتراضاته، فنبذ الفرقة ووافق جماعة المسلمين.

١٠-ثبتت روايات متعددة في موقف ابن مسعود ﷺ من المعوذتين يظهر من مجموعها يرى أن المعوذتين ليستا من جملة السور المنزلة من القرآن الكريم، وبناءً عليه يرى أنه لا يستلزم كتابتهما مع سور القرآن فكان يمحوهما من المصحف.

١١-اختلف الأئمة في روايات عبد الله بن مسعود -ﷺ- في المعوذتين إلى:

طائفة أولى قبلت روايات ابن مسعود ﷺ في موقفه من المعوذتين، وذكروا علل مختلفة في بيان معنى الإنكار في الروايات المنقولة.

وطائفة ثانية أنكرت الروايات المنقولة في إثبات موقف عبد الله ابن مسعود ﷺ من المعوذتين.

١٢- أن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود -ﷺ- قد رجع عن رأيه وتابع رأي أغلبية الصحابة -ﷺ- في إثبات قرآنية المعوذتين، وأنهما من سور القرآن الكريم

ومما يدل على رجوعه أن أسانيد القراء العشرة المتواترة في المصحف العثماني تعود إلى مصاحف عدد من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود -ﷺ- مما يدل دلالة قاطعة رجوعه عن رأيه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

د. إيمان بنت حمد بن صالح الجاسر
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات القرآنية
جامعة الملك سعود

ثبت المراجع:

- الحسن بن محمد النيسابوري، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م، الطبعة الأولى، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية،تحقيق: الشيخ زكريا عميران.
- الحسين بن مسعود البغوي، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، الطبعة الثانية، شرح السنة، دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش.
- أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ م، الطبعة الأولى، دمشق، دار المأمون للتراث، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد.
- القاسم بن سلاّم الهروي، ١٤١٥هـ –١٩٩٥ م، الطبعة الأولى، فضائل القرآن، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٢٠٠٥م، الطبعة السادسة، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار الكتب العلمية.
- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، الطبعة الأولى، الفتاوى الكبرى دار الكتب العلمية.
- أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى، ١٤١٢ه، ٢٠٠٥م، معرفة الثقات، المغرب، دار الغرب الإسلامي.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ١٤٢٠ه، الطبعة الخامسة، الإصابة في معرفة الصحابة، الهند، دار صادر.
- أحمد بن شعيب النسائي، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، الطبعة الأولى، السنن الكبرى، بيروت، مؤسسة الرسالة، تحقيق:حسن عبد المنعم شلبي.
- أحمد بن محمد بن حنبل، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، الطبعة الأولى، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي.
- أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ١٤١٢هـ، تاريخ بغداد، بيروت، دار الغرب الإسلامي تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف.
- أحمد بن محمد الأدنروي، ١٩٩٧ م، الطبعة الأولى، طبقات المفسرين، المدينة المنورة مكتبة العلوم والحكم، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي،.

- إسماعيل بن عمر بن كثير، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، الطبعة الأولى، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: علي شيري.
- إسماعيل بن عمر بن كثير، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، الطبعة الثانية، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.
- إسماعيل بن عمر بن كثير،١٤١٦ هـ، الطبعة الأولى، فضائل القرآن، مكتبة ابن تيمية الطبعة الأولى.
- جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ المُسْتَغْفِرِيُّ، ٢٠٠٨ م، الطبعة الأولى، فضائل القرآن، دار ابن حزم، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم.
- حْمَد بن عَمْرِو بنِ عَبْدِ الخَالِقِ البَصْرِيُّ، ١٤١٠ه، الطبعة الثانية، مسند البزار، الرياض، دار المعارف.
- سليمان بن أحمد الطبراني،١٩٩٣م، الطبعة الأولى، المعجم الكبير، الرياض، دار الراية، تحقيق: طارق بن عوض الله.
- سليمان بن داود الطيالسي، ١٤١٣ه، الطبعة السابعة، مسند الطيالسي، مصر، دار النور.
- صلاح الدين خليل الصفدي، ٢٠٠٠م، الوافي بالوفيات،بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- عمر بن علي بن أحمد الشافعي، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م، الطبعة الأولى، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، دمشق، سوريا ، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر.
- علي بن أبي الكرم الجزري، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م، الطبعة الأولى، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود.
- عياض اليحصبي، ١٤٢٠ ه، الطبعة الثانية، إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، دمشق دار الكتب العلمية.
- علاء الدين مغلطاي بن قليج الحنفي، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م ، الطبعة الأولى، إكمال تهذيب الكمال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، تحقيق: عادل بن محمد و أسامة بن إبراهيم.
- عبد الرحمن السيوطي، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤ م، الطبعة الأولى، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، الطبعة الثانية، تأويل مختلف الحديث،، المكتب الاسلامي، مؤسسة الإشراق .

- عمر بن شبة، ١٣٩٩ هـ، تاريخ المدينة، دمشق، تحقيق: فهيم محمد شلتوت طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد.
- علي بن الحسن بن عساكر، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، تاريخ دمشق، دار الفكر ، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي.
- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور، بيروت، دار الفكر.
- عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، بيروت، دار صادر، تحقيق: طيار آلتي قولاج.
- علي بن خلف بن بطال، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، الطبعة الثانية، شرح صحيح البخاري، مكتبة الرشد، الرياض، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.
- عثمان بن سعيد الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، تحقيق: محمد قمحاوي.
- علي القاري، ١٤١٥ه، الطبعة الرابعة، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهند، دار صادر.
- علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة، مكتبة القدسي، تحقيق:حسام الدين القدسي.
- عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى، المصنف في الأحاديث والآثار، الرياض، مكتبة الرشد، تحقيق: كمال يوسف الحوت. ٣٦–المصاحف، أبو بكر بن أبي عبد الله بن سليما السجستاني، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى، المصاحف، مصر، القاهرة، دار الفاروق الحديثة، تحقيق: محمد بن عبده.
- عبد الله بن محمد بن إبراهيم، ١٤٠٩ه، الطبعة الأولى، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، الرياض، مكتبة الرشد، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- علي بن سليمان العبيد، جمع القرآن الكريم حفظا وكتابةً، ١٤١٥هـ ، الرياض، دار التدمرية.
- محمد بن عمر الرازي، ١٤٢٠ه، الطبعة الثالثة، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- محمد بن أحمد الذهبي، ١٤٠٤ ه، الطبعة الأولى، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، بيروت، مؤسسة الرسالة.

- محمد بن أحمد الذهبي، ١٤١٩ه، ١٩٩٨م، تذكرة الحفاظ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- محمد الطبري، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة الأولى، جامع البيان في تأويل القرآن مؤسسة الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر.
- محمد بن عيسى الترمذي، ١٩٩٨ م، سنن الترمذي، بيروت، دار الغرب الإسلامي تحقيق: بشار عواد معروف.
- محمد بن أحمد الذهبي، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، سير أعلام النبلاء، القاهرة، دار الحديث.
- محمد بن أيوب الضريس، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، الطبعة الأولى، فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، دمشق، سورية، دار الفكر،تحقيق: غزوة بدير.
- محمد بن الطيب الباقلاني، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة الأولى، نكت الانتصار للقرآن، عَمَّان، دار الفتح، بيروت، دار ابن حزم ،، تحقيق: د. محمد عصام القضاة.
- مكي بن أبي طالب المالكي،، ١٤١٥ه، الطبعة الثالثة، الإبانة عن معاني القراءات دار نهضة مصر للطبع والنشر، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي.
- محمد بن عبد الله الزركشي، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الطبعة الأولى، البرهان في علوم القرآن دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- محمد عبد الله بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية. تحقيق: إبراهيم شمس الدين.
- محمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار الفكر، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.
- محمد بن إسماعيل البخاري، ١٤٢٢هـ، الطبعة الأولى، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري، دار طوق النجاة، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.
- محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، ١٤٠٨ه، الطبقات الكبرى، مكتبة العلوم والحكم. تحقيق: زياد محمد منصور.
- محمد بن أحمد القرطبي، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، الطبعة الثانية، الجامع لأحكام القرآن القاهرة، دار الكتب المصرية، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

- محمد الرازي، ١٤٢٠ هـ، الطبعة الثالثة، مفاتيح الغيب، بيروت ، دار إحياء التراث العربي.
- محمد عبد العظيم الزرقاني، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، مناهل العرفان في علوم القرآن، لبنان، دار الفكر.
- محمد بن حبان، ١٤١٤ – ١٩٩٣م، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرنؤوط.
- محمد ناصر الدين الألباني، ١٤٢٢ه، صحيح وضعيف سنن الترمذي، الإسكندرية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة.
- محمد بن عبد الله النيسابوري، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م، المستدرك على الصحيحين، القاهرة، مصر، دار الحرمين، تحقيق: مقبل بن هادي الوادعي.
- مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- محمد الطاهر بن عاشور، ١٩٨٤ هـ، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.
- محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.
- الدكتور محمد عبدالرحمن الطاسان،١٤٣٣ه–٢٠١٢م، الطبعة الأولى، المصاحف المنسوبة للصحابة والرد على الشبهات المثاره حولها، الرياض، دار التدمرية.
- محمدحيى بن شرف النووي، ١٤٣٢ه، الطبعة السادسة، المجموع شرح المهذب، بيروت، دار الفكر.
- يوسف بن عبد الله بن عبد البر، ١٤١٢ه، الاستيعاب في معرفة الأصحاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، تحقيق علي محمد البجاوي.
- يوسف بن الزكي المزي، ١٤٠٠ – ١٩٨٠ م، الطبعة الأولى،تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: د. بشار عواد معروف.